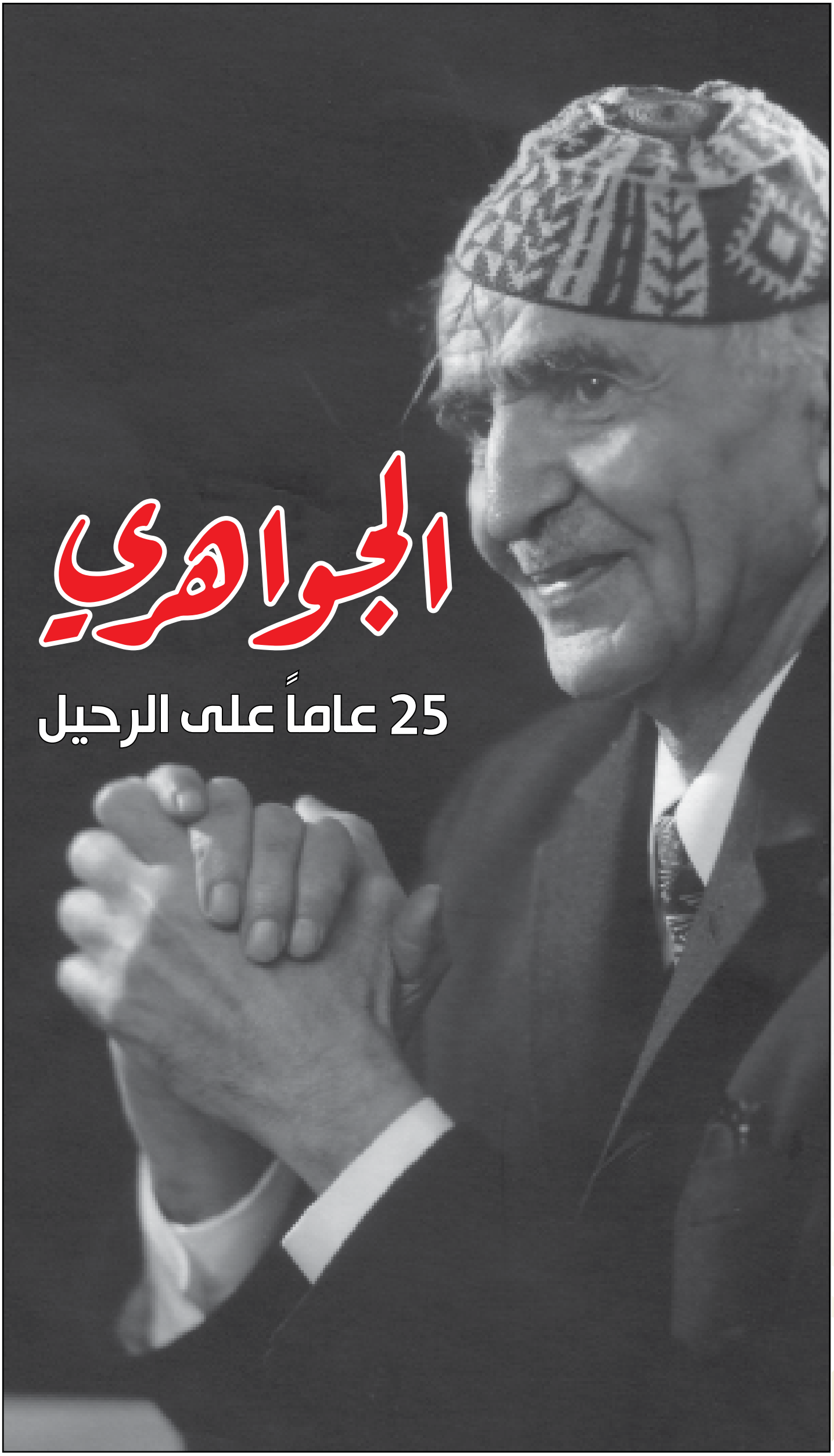

عراقيون

من زمن التوهج

الجواهري

25 عاماً على الرحيل

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة

المدى

للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الادارة

رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (5231) السنة التاسعة عشرة

- الخميس (28) تموز 2022

الجواهري بين (الإنقلاب) و (الرأي العام)

ما هو موقف الشاعر من إنقلاب بكر صدقي؟

عباس غلام النوري

لقد كان انقلاب بكر صدقي العسكري حدثاً بارزاً في الساحة العراقية، أعقبهُ تشكيل جمعية إصلاحية من نخبة من المثقفين ولاسيما من جماعة الأهالي فضلاً عن رئيس الوزراء باسم "جمعية الإصلاح الشعبي" وكان الجواهري يتعاطف معهم ويستثمر جهوده الفكرية والصحافية لخدمة أغراضهم بعد أن فسحت السلطات البريطانية، ولو بشكل غير مباشر المجال أمام هذه الفئات اليسارية بعد تفاقم المبادىء النازية وغيرها من الافكار التي كانت تعادي بريطانيا.

وكان الجواهري يرى في رجال الانقلاب أشخاصاً مناوئين للاستعمار وأعوانهم وهم كذلك يشاطرونه في الاتجاهات والآراء، لذلك تقدم الجواهري بطلب الى وزارة الداخلية للحصول على امتياز لإصدار جريدة مع أحد أصدقائه وهو الأستاذ الأديب "مصطفى علي" وكانت الجريدة باسم "الانقلاب"، وفعلاً حصلا على امتياز الجريدة وصدر عددها الأول في 25 تشرين الثاني عام 1936 وكانت الأعداد الأولى للجريدة تفصح عن تأييد للانقلاب ومتجهة كل الاتجاه له وناطقه بلسان صاحب الانقلاب الحقيقي ويقول عبد الكريم الدجيلي "حين حدث الانقلاب أندفع الجواهري بكل قواه لمساندته وسرعان ما أصدر جريدته تلك وكان المفروض أن يفوز بعضوية المجلس النيابي خاصة ورئيس الوزراء حكمت سليمان وجعفر أبو التمن وزير المالية على صلة وثيقة به الا ان صالح جبر، وزير العدلية، وقف نداً حال دون دخوله الى البرلمان الجديد.

كانت جريدة الانقلاب تصدر في اول الأمر ثلاث مرات في الأسبوع ومدة قصيرة جداً حتى صارت تصدر يومياً ووضع جريدته تحت تصرف الكتاب والمفكرين لكي يدلو بآرائهم، فقد ابتدات اولى مقالات التأييد على يدالكاتب السيد مرتضى فرج الله وهو يكيل المديح للانقلاب في مقالته "رسول الانقلاب" وبعد هذا المقال المدوي بدأت المرحلة الأولى من عمر الجريدة بمقالات متتالية كتبها الجواهري نفسه، وكانت واحدة من هذه المقالات بعنوان "كوني حازمة ياوزارة الإنقلاب" اذ يقول في هذا المقال "أيدنا وزارة الانقلاب لأننا رأينا المصلحة العامة تقضي بتأييدها، واعتقادنا بحسن قصد رجالها ولأنها تسلمت مقاليد الحكم بالكيفية التي كنا نصبوا اليها فقضت على أدوار ملتْ منها البلاد كثيراً وجزع الشعب من تصرفات المسؤولين فلم تر من الصواب أن تجابهها بغير التأييد والصبر لنفسح لها المجال والعمل" ومن المقال يتضح معالم موقف الجواهري وما يرمي أليه من تأييد مطلق للانقلابيين، مستطرقاً في الوقت نفسه بأن لايشمل تبديل الأشخاص الذين كانوا يقعدون على الكراسي بل يأمل من ورائها أن يشمل التغيير كل نواحي الحياة، ودعا في نهاية المقال الحكومة على أن تكون حازمة يقظة لقطع دابر من يريد بالبلاد سوءاً وطالب أيضاً بالأصلاح الداخلي والى زيادة حصة الشباب في البرلمان القادم ومحاربة الرجعية وجعل الصناعة ركناً من أركان النهضة، وإسقاط الأقاويل والتهم بأن العراق لايصلح الا للزراعة.

أعقبت هذه المقالة مقالة أخرى في تأييد الانقلاب، دعا فيها الحكومة الى الحزم والشدة بقوله "فلا عذر لكم في التزام اللين والهدوء، وليس للرحمة ولا للشفقة ولاللعطف ذكرٌ في معجم السياسة، وقد أصيبت البلاد بنكبات واعادة الأمور تتطلب الضربة القوية الحازمة والحق المغتصب لايعود الا بالقوة فأعملوا بشدة وحزم».

ويبدو لنا من خلال هذه المقالات وما بعدها ان

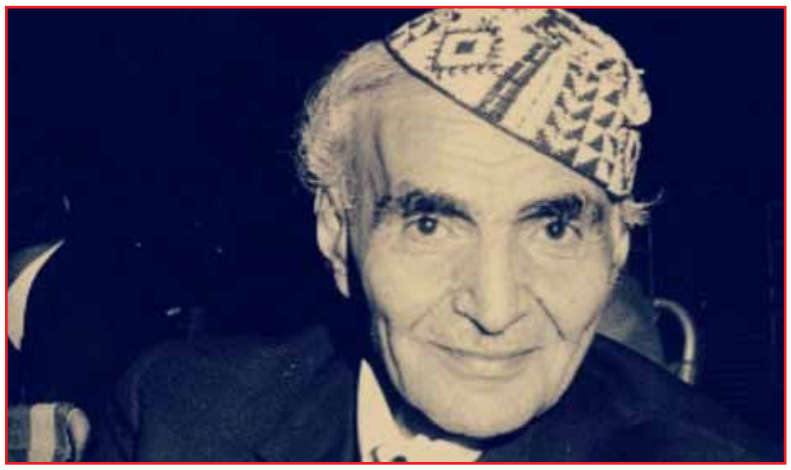

الجواهري كان مندفعاً ومتطرفاً في الدعوة للتعبير، وهذا خلاف مايحملهُ من روح ديمقراطية وقيم مؤمنة بالاصلاح السياسي السلمي، ومع كل هذا كان ذلك الاندفاع كما اتضح فيما بعد مشوباً بالحذر الشديد من الحركة الانقلابية وبروح قلقة عما سيئول له الأمر، ومع هذا استمر مؤيداً للوضع الجديد، وفي قصيدة له دعا لعدم التهاون وعلى أبناء الشعب جميعاً أن ينظموا تحت لواء الانقلابيين.

لم يدم التفاؤل بتحقيق الإصلاح، اذ لاحظ المفكرون وأصحاب الرأي أن شيئاً لم يتغير، وأن ما يطمح له الشعب من تغيير وأصلاح لم يلمسه أحد، لذا طالبت جريدة الإنقلاب وزارة حكمت سليمان بالإصلاح في كل مجال من مجالات الحياة، بدأ الجواهري بتقبيح الحالة وعلى سبيل المثال عندما قامت الوزارة المذكورة بأول تغيير ملموس وجوهري وهو حل المجلس النيابي، والشروع فوراً بإجراء انتخابات جديدة في 10كانون الأول 1936، كان لجريدة الانقلاب ومقالاتها وقفة وآراء، إذ دعت الجريدة الى مشاركة الجماهير في الانتخابات لضمان انتخاب من يمثلهم تمثيلاً حقيقياً منتقداً نظام الانتخابات المعتاد (غير المباشر) في السنوات السابقة لأنه لم يعد يلائم التطور السياسي والثقافي الذي وصل اليه الشعب، فضلاً عن دعوته لمشاركة الشباب الطموح الذي علق آماله عليهم ولأنهم اهل المسؤولية الملقاة على عاتقهم وعدم أستئثار الحكم في مناصب الدولة واقتصارها على فئة من الرجال أغلبهم من الفئة العثمانية يتناوبون الصعود الى دفة الحكم بين الحين والآخر مشيراً في الوقت نفسه الى دور الشباب بعد تأسيس جمعية الاصلاح الشعبي التي جاء منهاجها حافلاً مع مصلحة الشباب في إقامة النوادي وإصدار صحف ومجلات حرة وصريحة مؤكداً ضرورة الابتعاد عن النخبة التقليدية وتضمين الجسد السياسي بروح جديدة وثابتة.

لم يلمس الجواهري أي تغيير في الحكومة الجديدة، رغم مساعيه مع الآخرين في الدعوة للإصلاح وتضمين الجسد السياسي بعناصر جيدة وجادة، وبدأت الخشية والحذر تنتابه من فشل جميع المساعي الرامية للإصلاح أولاً وفشل طموحه في الفوز بكرسي النيابة ثانياً، وبدأ عندها يكشف عن خشيته هذه ولاسيما في مقال أسماه "ماذا بعد خمسة أشهر" مؤكداً أن لاتغيير طرأ على البلد ولم تحرك السياسة الانقلابية ساكناً تجاه الشعب ومواقف الحياة لديهم، ورثته عن الوزارة السابقة ليذهب للقول "لكن الحقيقة مرة ولكنها على كل حال حقيقة آمال المخلصين المتعلقين بهذه الوزارة، وان ما كان ينتظر ان يتم على يد الانقلاب أضحى وكأنه سحابة سوداء من التشاؤم وأن من كان يظن ان الإصلاح الفعلي الذي ينال من صميم الأوضاع الاجتماعية ليحقنها ويمس حياة الفرد العراقي في كل نواحيه الفاسدة، ظل محل شك وخوف من بقاء كل شيء قبل الانقلاب».

على الرغم مما تقدم لم تدم علاقة الجواهري مع رجال الإنقلاب ودية، فسرعان ما أخذ يوجه نقده اللاذع لهم متهماً أياهم بتخليهم عن الوعود، وصادف أن حصلت قضية جعلت الشرخ واسعاً بين الجواهري والانقلابيين وخلاصتها أن حركة احتجاج حدثت بين أفراد الطبقة الفقيرة من أبناء الطائفة اليهودية في بغداد ضد ارتفاع أسعار اللحوم التي يشترونها من الجزارين اليهود الى درجة أن المحتجين هددوا بشراء اللحوم من الجزارين المسلمين فما كانَ من الجواهري الا أن يساندهم في هذه القضية، التي سميت فيما بعد بقضية "الكاشير والطاريف" فأدى ذلك الى إضراب أكثر اليهود عن شراء لحوم الكاشير ومن ثم زعزعة موقف "الحاخام" ساسون خضوري رئيس الطائفة اليهودية في العراق، فذهب هذا الرجل ليبذل كل مابوسعه من جهود لايقاف حملة الجواهري في أمر هذه المقالات التي شنتها جريدته وبعد محاولات متعددة فضلاً عن تلويحه للجواهري بالمال ليكف عن تحريضه لهم، أخذ الجواهري يساندهم أكثر من ذي قبل مما أضعف ذلك المسعى وحمل فضلاً عن ذلك رئيس الطائفة الى أقامة الدعوى في المحاكم ضد صاحب جريدة الانقلاب بتهمة التحريض، لتلقى تلك التهمة آذاناً مصغية لدى الحكومة المذكورة وتصادر عدد الجريدة الخاص بالكاشير والطاريف، وتلقي بالجواهري في التوقيف بتهمة إثارة الرأي العام، ثم إن رفض رئيس المحكمة إطلاق سراح الجواهري بالكفالة المعتادة في كل القضايا مما يعزز القول ان توقيف الشاعر جاء بإيعاز من لدن الحكومة نفسها.

حكم الجواهري بالسجن مدة شهر بهذه التهمة، وعوطلت جريدته قبل المحاكمة لكن الجواهري لم يضبط أعصابه من قرار الحاكم فهتف في قاعة المحكمة أحتجاجاً على قرار المحكمة ضدهُ عاداً هذه المحاكمةبأنها غير عادلة بحقه وأنها كانت متحيزة فثارت ثائرة الحاكم فضاعف له الحكم بتهمة إهانة المحكمة الى شهرين، إنقصت بعد ذلك الى خمسة وأربعين يوماً بعد أن قدمَ استئنافاً، قضى معظمها في المستشفى لاعتلال صحته.

تعددت وجهات النظر حول سبب غلق جريدة الانقلاب، فمنهم من يرجح سبب غلق الجريدة الى تحامل حكومة الانقلاب على مقالات الجواهري الأخيرة ومن جملتها "بعد خمسة أشهر" و "حصة الشباب في عهد الانقلاب" و "قدموا أحلمكم ان صديقكم صدقكم" ومقالات أخرى نشرتها جريدة الانقلاب بأقلام أصحابها وبأسمائهم مما أدى الى اعتقاله ايضاً، ويذهب آخر الى القول عن إنها المقال المنشور في الجريدة بعنوان "مذكرات سجين" لأحد الكتاب وهو سلمان الصفواني الذي تحدث عن ثورة الفرات الثانية ويرجح آخر أن السبب في حبسه يعود الى قضية الكاشير والطاريف وهو مخالف للرأي الأول.

بعد فشل وزارة حكمت سليمان في تحقيق طموحاتها واستقالة "رئيس الحكومة" ومقتل بكر صدقي، شرع جميل المدفعي بتأليف وزارته الرابعة في آب سنة 1937، وأعتمد سياسة إسدال الستار على الأحداث التي رافقت حكم بكر صدقي وتناسي الأحقاد المترتبة عليها، فقد سمحَ جميل المدفعي للسياسيين خلال المدة السابقة بالعودة والعفو عن قتلة بكر صدقي() لذا عادَ الصراع بين اليمين القوي واليسار الذي لايملك من السلاح سوى الفكر والإصرار وهنا كتبت جريدة الإنقلاب بشأن الوزارة الجديدة مقالات افتتاحية حذرة منها "الشعب يريد الاستقرار" واتبعتها بشبيهة لهاأيضاً عنوانها "واجب الحكومة الصالحة" وكتبت مقالة ثالثة في "ضرورة تنظيم جبهة وطنية موحدة في العراق" مؤكدة فيها أهمية توحيد وجهات النظر السياسية استناداً الى تطورات العالم الراهنة التي لايمكن للعراق ان يكون بمعزل عنها وعليه يجب على "العراقيين" أن يوحدوا صفوفهم مثلما فعَل الزعماء السياسيون في العالم حين وحدوا جهودهم لوقف تحركات المستعمرين ووضعوا خلافاتهم جانباً. ودعت الجريدة مرة أخرى الى ضرورة حماية الانتخابات من التشويه، وتوفير جو ديمقراطي للمنتخبين ليختاروا ممثليهم الحقيقيين.

لم يعمد الجواهري الى إصدار جريدته الانقلاب ثانيةً وبعد أن سقطت حكومة الانقلاب أصدر جريدة أخرى في 6أيلول سنة 1937 تحملُ أسماً جديداً وهو "الرأي العام" التي عرف بها الجواهري أكثر من غيرها من الصحف التي أصدرها، اذ استمرت في الصدور حتى اوائل عام 1961 على الرغم من تعرضها للتعطيل بين الآونة والأخرى، لذا برزت بلون ديمقراطي واضح المعالم ونهجت السبيل اليساري وعُرفت كذلك على المستوى العربي في لبنان وسوريا وفلسطين، علماً أن الجواهري قد أصدر صحفاً أخرى في أثناء تعطيل الجريدة وبهذه المناسبة أطلق الجواهري مقالته الطويلة والمستفيضة يوضح بها سبب إصداره فيما مضى جريدة "الانقلاب" وما جرت عليه البلاد من تأخر وويلات وعدم إصلاح وما رامت اليه الوزارة الإنقلابية في بادىء الأمر فيقول مانصهُ "لم نكن يوم أصدرنا الانقلاب أكثر منا ونحن نكتب هذه السطور ولم نكن يوم 25كانون الثاني 1931 أكثر منا في يوم 6أيلول 1937 شعوراً بأن تأخر البلاد ورضوخها للأوضاع الشاذة والتصرفات الكيفية وأحتضانها بميزان القوانين والأنظمة الجائرة التي لاتصلح لضمان رفاهية الدولة العراقية" ويزيد على ذلك المقال نفسه "هكذا كان الانقلاب وهكذا كان الدافع لإصدار الجريدة لكن سرعان ما خابت الظنون وتبددت الأحلام وسرعان ما أنكشفت الصدور وانجلت الضمائر فاذا بها سوداء ملطخة واذا بالشهوات والنزعات تعصف بها عصفاً شديداً، واذا بالحديث يبتدىء همساً ويشتد فيصبح ضجيجاً، واذا القوم يخدعون من حيث لا يقصدون».

أما بالنسبة الى جريدة الرأي العام واختياره لهذا الأسم فيقول "ووفاءً لهذه التربة ورعاية لمصلحة الشعب تُصدر جريدة "الرأي العام" التي لم تختر هذا الأسم عبثاً ولكننا اخترناها للرغبة في التعبير عن الرأي العام به" ، هكذا كان الجواهري يعالج الأمور بعد الانقلاب بمطالبته بتوحيد الجهود وإجراء انتخابات نزيهة لترتقي مع البلدان المتطورة. خلافاً لسبق دعواه بعدم التهاون مع خصوم الانقلاب والضرب الموجه اليهم دون شفقة، وهو شكل آخر في الاندفاعات التي أتسمت بها شخصية هذا الشاعر والسياسي.

عن رسالة (محمد مهدي الجواهري ودوره السياسي)

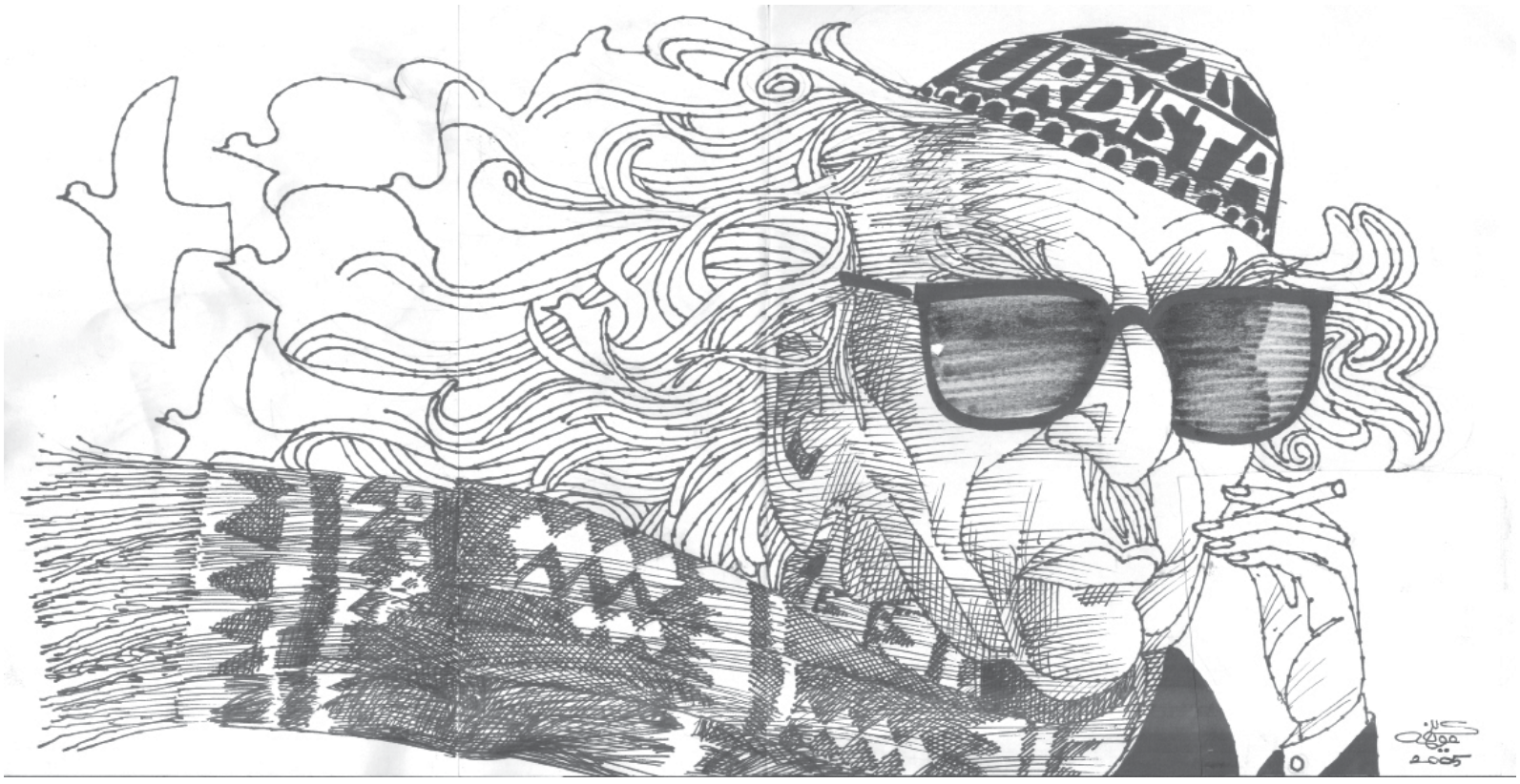

الجواهري صحفيا.. وصحيفته الأولى

رفعة عبد الرزاق محمد

قبل ان نلج عالم الجواهري الصحفي فأن صلته بالصحافة والصحفيين قد بدأت، منذ ان قرر الخروج من مدينته الضيقة (النجف) بنشر شعره في صحف العاصمة بغداد التي فتحت له صفحاتها واستقبلت ما يبدعه بكل تجلة وتقدير. فقد نشر في جرائد مختلفة مثل جريدة العراق لشيخ الصحافة العراقية رزوق غنام، وجريدة الاستقلال لعبد الغفور البدري، وهي لسان المعارضة الوطنية في العشرينيات، وفيها ظهرت اول قصيدة منشورة له، وجريدة الفضيلة لعبد الرزاق الحسني، كما نشر شيئا من شعره في جريدة النجف ليوسف رجيب، والرافدان لسامي خوندة، ولسان العرب والمفيد لابراهيم حلمي العمر. اما المجلة الاولى التي نشرت له، فقد كانت مجلة العرفان الصادرة في صيدا بلبنان وفيها نشر قصيدته العينية عن ثورة العشرين. وقد بقيت صلته برزوق غنام الى النهاية وقد استمد منه الكثير من التوجيهات في عمله الصحفي. ولعل من المفيد ذكره انه اختص بجريدة العالم العبي لسليم حسون بعد قضيته مع مدير المعارف العام ساطع الحصري، فقد كانت هذه الجريدة تنادي الحصري وتحتضن خصومه. اما أول عمل للجواهري له مساس مباشر بالحياة الصحفية، فقد كان أيام عمله في البلاط الملكي، فقد اختاره الملك فيصل ان يكون مسؤولا عن استطلاع اهم ما في الصحف وتقديمها للملك، واستمر في ذلك الى ان قرر الاستقالة ودخول المعترك الصحفي باصداره جريدة الفرات. الفرات قرر الجواهري اصدار جريدة باسم (الفرات) بعد ان قدم استقالته من البلاط الملكي، ويذكر الاستاذ عبد الكريم الدجيلي.راوية الجواهري .ان الملك فيصل الاول ارسل علي الجواهري ونصحه بالتريث وعدم التسرع. واخبره بأنه يرغب بأرساله الى باريس في بعثة دراسية مع جماعة منهم محمد مهدي البصير وقال له ان الصحافة غير بعيدة عنه بعد الدراسة، كما ان راتبه يجري على زوجته، وكان الجواهري قد تزوج حديثا، ولكن الجواهري أصر على رغبته ولم يعن بنصيحة الملك ولم يلتقيه بعد ذلك، ولعله كان في أول حياته ولم يخبر السياسة ودهاليزها. ويلمح الاستاذ رفائيل بطي في كتابه عن صحافة العراق الى ان وزارة نوري السعيد الاولى، ارادت ان تستعين بأديب فراتي لاصدار جريدة تروج لسياستها فحملت الاستاذ محمد مهدي الجواهري وكان موظفا في البلاط فاستقال واصدر جريدة باسم (الفرات). ومهما يكن، فقد صدرت الفرات في 7 مايس 1930 بأربع صفحات وقد جاء في رأسها انها «جريدة يومية سياسية عامة» لصاحبها ورئيس تحريرها محمد مهدي الجوارهي، وثمن النسخة آنة. وقد بينت في عددها لاول نهجها في افتتاحيتها بعنوان «خطتنا»، فقالت:.. ان خطتنا واضحة المعالم، مشرقة الجبين، فهي خطة هذه الأمة الكريمة، نزعتنا هي نزعتها القوية الى الحرية والاستقلال، وكل سبيل الى غير هذا السبيل مصيره المعرة ونتيجته الفشل، ولسنا في حاجة الى القول من أن هذه الجريدة ستكون لسانا ناطقا بالحق ولا يعرف المحاباة ولا المداجاة في ما تعالج من مشاكل وتبدي من آراء في السياسة والادب والاجتماع والتجديد، وانها ستكون سيفا مصلتا فوق رقاب الذين تسول لهم انفسهم التلاعب بمصائر البلاد ومقدساتها وتشويه جمال وحدتها والقاء العقبات في طريقها الى قمة المجد والعز.. لن تقتصر خطتنا على معالجة المسائل السياسية الراهنة فحسب، بل ستعنى جريدتنا عناية بليغة بالأدب العربي وبالنهضة الاجتماعية وسنولي حركة التجديد اوفر نصيب من الدرس والبحث والتأييد...». ورغم هذا فأن الانطباع عن (الفرات) انها صدرت لتأييد وزارة نوري السعيد التي كرست عملها لابرام المعاهدة العراقية البريطانية لسنة 1930. وبهذا اصبح الجواهري من المقربين لرأس الحكومة نوري السعيد، حتى انه كان يدخل على مجلس الوزراء وهو منعقد اضافة الى دخوله مكتب السعيد في اي وقت يشاء (الدجيلي ص64). ويذكر الجواهري في مذكراته ان نوري السعيد كان يساعد (الفرات) حتى بالاخبار، ومنها انه املى على الجواهري خبر قرب سفر الملك فيصل الى لندن للاشراف على المفاوضات، فقامت قيامه الصحف الاخرى باعتبار ان الملك غير مسؤول. ومن ذكريات الجواهري الطريفة انه دخل مرة على نوري السعيد رئيس الوزراء فأخذه معه في السيارة ليعود حسين أفنان ثم مر به على عبد المسيح وزير في وزارة الدفاع وأخذ بعض الاوراق منه واعطاها للجواهري، وكان من بينها خطاب لمزاحم الباجه جي منشور في جريدة بصرية سنة 1922، وقد ترجمه عبد المسيح وزير، وكان مضمون الخطاب ان العراق يجب ان يكون احد دول (الكومنولث)، وكان مزاحم الباجه جي يوم صدور الفرات يحمل راية المعارضة ضد حكومة نوري السعيد. ونشر الجواهري الخطاب فأحدث ضجة كبيرة في الوسط السياسي. وفي اليوم التالي جاء الباجه جي الى الجريدة ولم يجد الجواهري بل وجد محررها ابراهيم حلمي العمر، فسلمه ردا على ما نشرته الجريدة، فلم يكن من العمر الا وأخذ المقال الى نوري السعيد، وحين علم الجواهري بالأمس عنف ابراهيم العمر على تصرفه وذهب الى السعيد واخذ المقال منه ونشره عملا بحرية النشر. ومما له صلة بالأمر ان الملك فيصل الاول كتب صكا بمبلغ 700 روبية لبدل الاشتراك بالجريدة، كما امر نوري السعيد كافة المتصرفين بمساعدة الجريدة.

لم يصدر من (الفرات) سوى عشرين عددا ثم حكم عليه بالاغلاق لسبب ذكره الاستاذ الجواهري في ذكرياته فقال:

أما عدم استمرار (الفرات)فكان لأسباب يطول شرحها. وباختصار: فمع صدور الجريدة كانت المرة الأولى التي يتولى فيها رئاسة الوزارة نوري السعيد. وبالطبع كان لكل زعيم أشخاص يؤيدونه من طليعة الشباب المثقف. مثلا ياسين الهاشمي كان له جماعة من التقدميين يحتضنهم. وكذلك نوري السعيد. وقد نظمت له قصيدة تحت اسم «لتكن حازمة.. إنها وزارة المفاوضات" ولم يكن القصد منها مدح نوري السعيد، إنما حثه على العمل من أجل وطننا العراق.

وكان نوري السعيد مقربًا من الملك فيصل كثيرا. وما إن صدرت جريدتي حتى تبناها. لكن الجمهور اعتبرها جريدة الملك لكوني كنت في الديوان الملكي وباعتبار أن نوري السعيد يعد الرجل الأول بالنسبة إلى الملك فيصل الأول. ولعله كان كاتم أسرار الملك.

أثناء تلك الفترة، كانت هناك جريدة «الأفندي» (لعله يقصد جريدة حبزبوز لنوري ثابت وقد ناصبت الجواهري العداء) ممسوخة، هزلية ووظيفتها شتم الناس بطريقة مبتذلة وغير لائقة، فاعتبرت جريدتي حجر عثرة في طريقها. وللأمانة والتاريخ أقول إن أصحابها كانوا من بقايا عصابة ساطع الحصري في ذلك الوقت. وكانت كلما صدرت «الأفندي» وجدت فيها بعض الانتقادات الموجهة ضدي وموقعة باسم «حبزبوز" إلى أن طفح الكيل ولم أعد أحتمل، فكتبت مقالا ضد ساطع الحصري وعصابته لم أترك فيه سترا مغطى، فسبب كارثة رهيبة. وحتى الآن أعتبر المقال أحد أخطائي الرهيبة، إذ كان باستطاعتي يومها جعل نوري السعيد يمنع صدور «الأفندي» لكني فضلت الإجابة عبر «الفرات».

وقامت الدنيا ولم تقعد، واستغلت المقالة ضدي. وبدل أن أصطاد تلك العصابة اصطادتني، إذ بدأت الجرائد الموجودة تكيل إلي التهم يوميا.

وفي اليوم الثاني لنشري المقال، صدر قرار من مجمع الوزراء بإقفال جريدتي لأجل غير مسمى. إنه أحد أخطائي. يومها كتبت بلا حساب مقالا بعنوان «يا وزارة المعارف.. يا وزارة الحبابزة والقزامزة». وصحوت بعدما انقلبت الدنيا كلها ضدي.

اللقاء الأول بين الجواهري وعبد الكريم قاسم

قصة اللقاء في لندن قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

د. عقيل الناصري

رُفِعَ عبد الكريم قاسم في 1947/04/12 إلى رتبة مقدم ركن، ونقل إلى لواء المشاة التاسع. وفي هذه السنة يسافر إلى خارج العراق لأول مرة، وكانت واجهته لندن. كانت السفرة لأجل التطبيب الناجم عن عمله، وكذلك قيل معالجة الشق في شفته العليا، الذي ورثه منذ الصغر، وهذا ما أشار إليه بعض مُدرسيه.

يمكث قاسم في لندن ويستغل الفرص الزمنية المتاحة له من أجل الاطلاع ودراسة التطور الاجتصادي الذي شهدته بريطانيا وديناميكيته، ومستويات المعيشة ونموها مقارنةً بواقع العراق. ويركز الانتباه على كيفية حل مشكلة السكن. لأن هذه المشكلة كانت ولا تزال واحدة من المشاكل الاجتماعية/ الصحية المستعصية في أغلب بلدان عالم الأطراف ومنها العراق، لأن الأسر الفقيرة والفئات الوسطى المتوسطة وما دونها كانت تعاني من عمق هذه الأزمة منذ ذلك الوقت. وهو بالذات عاش هذه الظروف وتحسس معاناتها على نطاقه الذاتي أو/و الاجتماعي.

من هذا المنطلق نستطيع أن نفهم مبررات توجهه إلى التركيز على هذه الناحية بعد الثورة، كمحاولة لاجتثاث الصرائف وأكواخ الطين التي كانت بمثابة أحزمة بؤس تطوق المدن الكبرى. لذا لم تخل مدينة عراقية في فترة حكمه من مشروع سكني حكومي، أو على الأقل توزيع الأراضي السكنية على الجمعيات التعاونية للموظفين وأصحاب الدخول المحدودة من كسبة وحرفيين، للعمال ومراتب القوات المسلحة، بل حتى ضباطهم. "كان قاسم مصراً ومصمماً على أنه سيوفر السكن لكل عراقي، لا يملك السكن خلال فترة قصيرة، وإن كل التشريعات التي تعرقل تنفيذ خطته هذه ستلغى وستبدل بغيرها" كما يعترف بذلك حتى مناهضوه.

و"اصبح هذا الفقير المعدم ذو الثياب المهلهلة حاكماً مطلقاً، ليزحف زحف الذين كفروا على الأكواخ والصرائف وعلى كل ما فيها من تعساء وليحيلها شققاً وعمارات وبيوت ترى لأول مرة النور والكهرباء والحدائق والشوارع، منتقماً من فقره وماضيه، ثائراً على مرارة واقع البؤساء".

لقد حفزت هذه الزيارة ذهن قاسم وروحه المتمردة على التفكير بضرورة الإسراع لتهيأت الظروف الذاتية لحركة الضباط الأحرار لأجل إنجاز التغيير الكبير المرتقب عندما يحين ظرفه الموضوعي، بغية التماثل النسبي مع الأبعاد الحضارية التي تنعم بها أوربا.

ويتعرف قاسم أثناء الزيارة عن قرب بالجواهري الكبير، الذي كان أحد أعضاء وفد نظمته السفارة البريطانية في بغداد لمجموعة من الصحفيين العراقيين لزيارة لندن والاطلاع على معالمها وتعمير، ما خربته الحرب العالمية الثانية بفترة زمنية قصيرة. مَثَلَ هذا اللقاء بين الجواهري وقاسم بداية العلاقة المتميزة والقلقة بينهما.

وبصفاء لغته واعتزازه الكبير بذاته المتمردة يصف الجواهري هذا اللقاء بالقول:

"في الملحقية العسكرية بلندن... كانت بعثة عسكرية خاصة تضم ملحقين ومفدين من ضباط يتسابقون عليَّ ويجرني الواحد بعد الأخر من أرادني؟ وكان بينهم ضابط شاب، كان من دونهم، أشد إلحاحاً علي بأخذ حصة أكبر، أو الحصة الكبرى من الجلسات واللقاءات، من جملة ذلك أن اصطحبني إلى بيته وهو شقة متواضعة بملحقيتها. هذه "الدويرة" شهدت ثلاثة لقطات، تصح أن تكون على بساطتها ذات كلمة ومغزى، لما سيكون لهذا الرجل من دورٍ خطير في تاريخ العراق... لم يكن هذا الرجل سوى عبد الكريم قاسم".

اصطحب الزعيم قاسم، الجواهري إلى مختلف مناطق لندن ليطلعه على معالمها، بعدما نفر من البرنامج الموضوع لهم ومن صحبة بعض الصحفيين الذين كانوا معه ضمن الوفد. كما كان قاسم بمثابة مترجم له عند مراجعة الأطباء وزيارة المعالم الثقافية. كان قاسم معجباً أيما إعجاب بالجواهري الكبير، في كثير من مواقفه السياسية المناهضة لسياسة نخبة الحكم وارتباطها ببريطانيا وفي دفاعه عن الفقراء والمحرومين، وفي قصائده الشعرية موضوعةً وهدفاً، المتميزة بالصورة الجمالية وصفاء اللغة، وسلمها الموسيقي المنفرد في انسيابيته.

في ذات الفترة يسافر الوصي عبد الإله إلى لندن، حيث كان يقضي أجازته فيها، "وقد أرسل في طلب الجواهري، وتحادث معه طويلا حول ترشيحه إلى الانتخابات النيابية، وطلب إليه تمديد اقامته في لندن ليعود معه في وقت واحد إلى بغداد. لكن الجواهري اعتذر له بعدم امكانية بقائه لمدة أطول في لندن، وكان متضايقاً من اقامته فيها.

... خرج الجواهري من اجتماعه بعبد الإله متوجها إلى الموعد مع صاحبه (الضابط برتبة رائد)، حيث حجز له موعدا مع طبيب الاسنان وفي الطريق تحدث إليه عن الانتخابات النيابية المزورة، وخلو مجلس النواب من أصوات وطنية محترمة، لكن الضابط أنتقل بالحديث، إلى حفلة المساء الماضي وأبدى دهشته وارتياح الجواهري على كرنلواليس. وأخذ يترجم له الخبر المنشور تحت الصورة في الجريدة وخبر رويتر قائلا ببراءة أن الشعراء مسموح لهم كل شيء، وهم يشكون من عدم وجود الحرية. أما نحن العسكريين، فلا نتمتع بأية حرية ولا نشكو من انعدامها".

بعد ذلك، كان قاسم "يتابع مواقفي الوطنية والاجتماعية، وبخاصةً الشعرية منها. وكنت الوحيد الذي يناديني ب"الأستاذ" أمام اتباعه وغيرهم وفي أكثر من موقفٍ...". كما كان قاسم منذ بدء علاقته "صادقاً معي كل الصدق وأميناً كل الأمانة ونظيف كل النظافة في حفاظه على تلك العلاقة، وصحيح كذلك أنه لم يصل مدني واحد في العراق هذه الدرجة من الثقة والوطادة والعلاقة... حتى وصل الحد به إلى أنه أعلن وهو يفعل ما يقول: أنني لا أرد طلباً للجواهري ...».

استمر هذا الفراق المؤجل لغاية ثورةٍ 14 تموز حيث تجددت العلاقة بينهما ثانيةً ببعدِ جديد ذا علاقة خاصة ومضامين بنائية مستهدفة.. وقد "تقاسم الصديقان الزعامة!! عبد الكريم قاسم زعيم السلطة السياسية. والجواهري زعيم السلطة الثقافية وزعيم الصحافة". وكان عبد الكريم قاسم "... يتعامل مع الجواهري صديقاً وسياسياً، كما هو شاعر كبير، فيشاوره في الأوضاع السياسية، ويجالسه طويلاً في الإسبوع أكثر من مرة...

ويشير د. الأعرجي إلى واقعة ذات دلالة. يقول: "فقد كان يحز في نفسه أنّ هذه الأحزاب العراقية يوم تقتسم المناصبَ السياسية، أو يوم يُخيَّل لها أنّها ستقتسم لا ترى فيه أكثر من شاعر، ومن هنا كان يروي بمرارة أنّه زار الزعيم عبد الكريم قاسم ذات مَرّة في مقرِّه بوزارة الدفاع، فوجد الفقيد الأستاذ عامر عبد الله عنده، فكان في جلسة عامر ما يوحي أنه أعطى ظهره للجواهري، وتنبه الزعيم إلى ذلك فقال لعامر بشيء من العصبية:

عامر ، هذا الأستاذ الجواهريّ!

فعدل من جلسته". (التوكيد من–ع.ن).

هذه الصفة التي تمتع بها الجواهري في دفاعه وتبنيه مطالب الجماهير الفقيرة وتوحدهِ مع معاناتهم، هي التي دفعت قاسم أكثر فأكثر إلى لقياه، كمشروع مشترك وَمعلَمَاً أدبياً رفيعا، والذي كان آنذاك في خضم التهيئة لانضاج البعد الذاتي لحركة الضباط الاحرار. وفي الوقت نفسه إعجابُ الشاعر العميق في لا وعيه يومها بشخصية عبد الكريم قاسم وهو يحث الخطى في اشباع جزء من الحاجات المادية للجماهير الواسعة من الفئات والطبقات الكادحة التي دافع الجواهري عنها وتوحد معها وتطلعاتها.

وحدث الافتراق بينهما والذي كان للبعد الذاتي فيه دورا كبيراً لكلا الطرفين.. وإن كان للجواهري الكبير وروحه المتمردة ونرجسيته العالية القدح المعلى في ذلك وعدم تحقيق "أحلام الجواهري التي كانت قد لازمته أربعين عاماً في ان يصبح وزيراً... ومن شعوره العميق بأنّه هو الزعيم الحقيقي الذي عليه أن يُوجِّه وليس سواه سواء أكان هؤلاء الزعماء زعماء سياسيين، ام جمهوراً، أو أجزاباً". وقد عبر عنها بعد ثلاثة عقود من الزمن في مذكراته، بصورة غير متسقة مع ماهية ذاته، ولا مع واقع صيرورتها الموضوعية، وغير مقنعة لا لنفسه ولا للآخرين.

يقول الجواهري: "...غير أني أستطيع التأكيد ثانيةً أن عبد الكريم قاسم كان يملك ضميراً حياً ونزاهة نادرة، وبساطة في اللباس والحياة والمأكل، مما جعله يضاف إلى قائمة المترفعين عن المظاهر والمكاسب وجاه الثورة وهو ما أغفله الكثيرون من الكتاب والصحفيين والمؤرخين... وأراها مناسبة للقول إن الكثيرين من هؤلاء لم يتعاملوا مع التاريخ ولا بل أمانة مع واقع حال هذا الرجل وكثيرون منهم كتبوا إما بدوافع سياسية أة بدوافع شخصية أو بدوافع مصلحية... الاسباب التي جعلت لأكثرهم يبتعد عن الحقيقة... وبذلك لم أعتمد أحداً منهم وأنا أكتب تاريخ هذا الرجل إلا القلة النادرة.

العدد (5231) السنة
التاسعة عشرة
الخميس (28) تموز
2022

طرائف من ذكريات الجواهري..

هكذا أكتشفت بغداد في العشرينيات

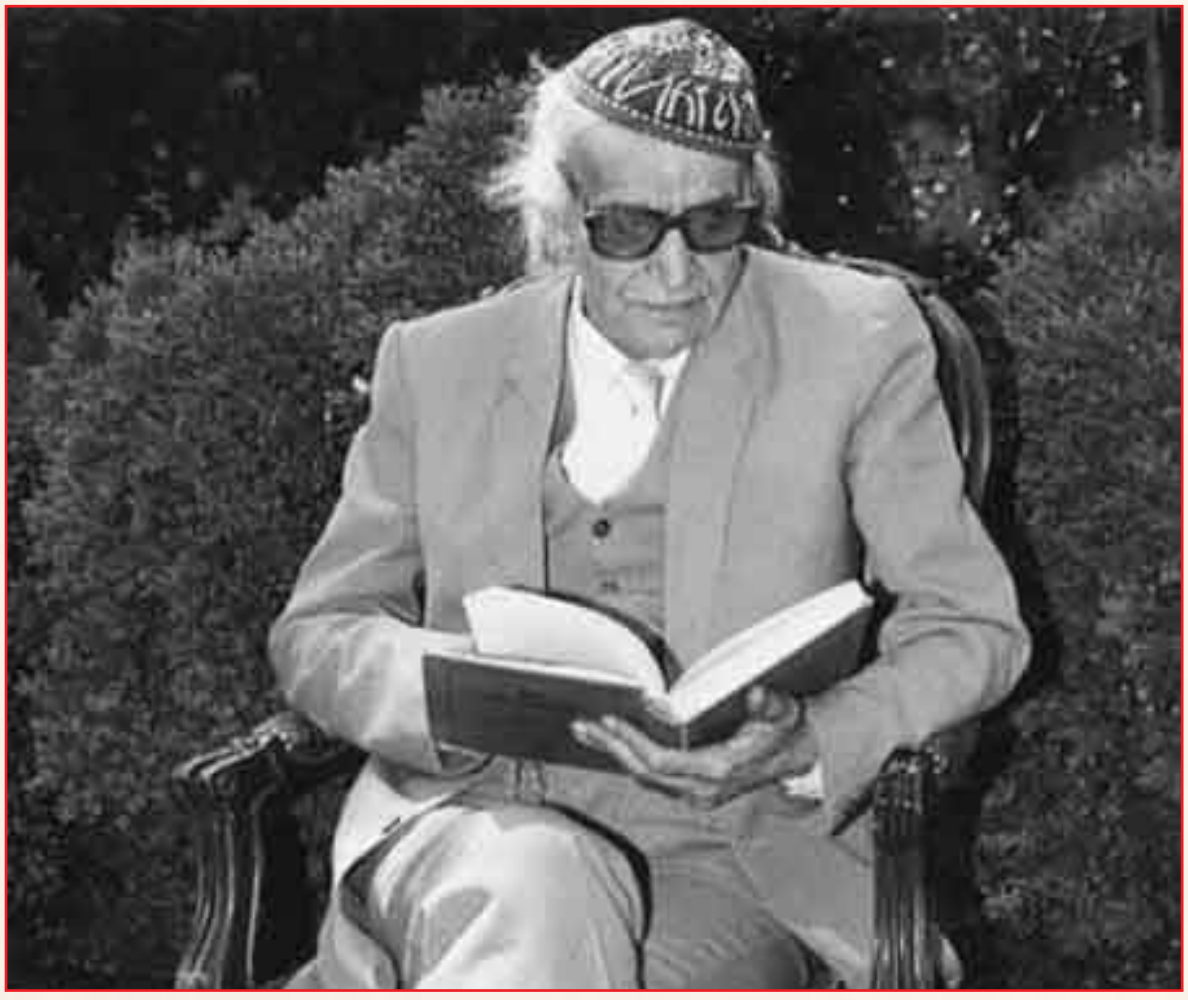

إعداد: عراقيون

في عـام 1982 فاجأت مجلة (المجلة) الصادرة في لندن قراءها بنشرها
عشـر حلقات من ذكريات للاستـاذ الجواهري من لقاء اجرته الصحفية القديرة
هدى المر، وقد تضمن هذه الذكريات صور طريفة من مسيرة الشاعر الكبير
لم تكن معروفة الا للخاصة من اصدقائه ومريديه، قبل ان تنشر مذكراته بجزءين،
واكاد اعتقـد ان لقـاءات هدى المـر مع الجواهري كانـت اساسا لكتابتـه المذكرات التـي نشرت بعد سنوات..
واليـك بعض من هـذه الذكريات عـن أول مجيئه لبغـداد قادما من النجف المدينـة الدينية المحافظة وما اكتشفه فيها

فوجئـت في أحـد الأيـام بالشاعـر الكبـير محمد الهاشمـي يـرد علـي قائـلاً: «إلى نابغـة النجـف» وذلك بقصيدة مطلعها: «أيها البلبل غرد – وانظم الآلام شعرا» (...). قرأت قصيدة الهاشمي مرات ومـرات وذهلـت، أصحيـح أننـي الإنسـان الذي استطـاع أن يهـز هـذا الشاعر الكبـير، فيرد علي شعرا على القافية نفسها؟

إذن، أنـا إنسـان مهـم. الأرض لم تعـد تحملني.. وبـدأت الأحقـاد تنمـو في مجتمـع النجـف، ضد إنسـان صاعـد في بلـد التناقضـات، النجف، بلد الفقـر المدقـع والغنـى الفاحش، جنبـا إلى جنب. باختصار، بدأت أعي لعبة الحياة، بدأت أحس أن بلـدي مع أدب ومجمع دين ومجمع فقر. وخلاصة الموضوع كانت أن سيئاتها أكثر من حسناتها.

أول الدرب

لنعـد إلى بداياتـي الشعريـة. لنعـد إلى الـوراء. علـى ما قبل ستين عامـا أو أكثر فبعدما نشرت لي القصائـد تحت توقيـع «نابغة النجـف» تشجعت كثيرا، وقد أعطتني تلـك القصائد زخما وانطلاقا في بحـور النظـم. لذلك، أنـا من أنصـار تشجيع المبتدئين في عالم الشعر.

كما أن طموحي تعدى حدود العراق فصرت أرسل قصائـدي إلى مجلة «العرفان" في صيـدا (لبنان) وكان صاحبهـا أحمـد عـارف الزيـن. فصـارت قصائـدي تنشـر، واحـدة في بغـداد وأخرى في لبنان.

وبـدأت أشعـاري تبـدو وكأن ناظمهـا أكـبر مني سنـا. وبمعنـى الكلمـة أنها كانـت تبـدو لإنسان ناضج. ومثال على ذلـك؛ ففي أول زيارة قمت بها لبغـداد. كان من الطبيعـي أن أزور الصحف التي تنشر قصائدي. وفوجـئ أصحابها بصغر سني، خصوصا أنني في ذلك العهد، كان شكلي مضحكا. إذ كان وزني لا يتعدى خمسة وثلاثين كليوغراما. وكنـت يومها ارتـدي الجلباب والعبـاءة العربية (الـزي النجفي) وعمامة صغيرة. كنت مثل شبح. أنـا نفسـي لم أكن أعرف شكلـي. إذ لم يخطر على بـالي مطلقـا أن أنظـر إلى وجهـي أو قامتـي في المرآة.

وأستطيـع القـول إنني بلغـت العشريـن دون أن أرى وجهي في المـرآة. وأول مرة شاهدت وجهي فيهـا كانـت عندما تصـورت في بغـداد وفوجئت بصورتي.

ربما تسألينني متى صرت «أباوع» (انظر) المرآة؟ صـارت نظراتي تلتقي المرآة يـوم عرفت أن هناك شيئـا اسمـه الأناقـة في حيـاة الإنسـان أي بعـد بلوغـي عامي العشرين بفترة طويلة. وسبب ذلك أن بيوتات النجف لم تكـن تضم بين أثاثها المرايا الكبـيرة الموجـودة حاليـا في كل منزل بـل كانت المـرآة الصغيرة هـي المنتشـرة في العشرينيات. لذلـك عندمـا رأيـت صورتـي فوجئـت وكأنهـا لا تخصنـي، أو بالأحـرى كأنها ليسـت وجه مهدي الجواهـري. عندها تذكـرت أن هناك مرآة ويجب أن أعتنـي بشكلي، ولو قليلا. كنـت أبدو وكأنني شبح يدب على الأرض.وكنت في السابق أتعجب من بعض الأشخاص الذين يخرجون من منازلهم وكأنهـم نسـاء متبرجـات، أو كأنهـم يستعـدون للذهاب إلى المراقص.

اكتشفت بغداد

بغـداد كانـت بالنسبـة إلي عالمًـا مجهـولا. ذهبت إليها لاكتشـاف هذا العالم الجديـد. زيارتي إليها كانـت أشبـه بعربي ملهـوف يزور باريـس لأول مـرة. ورغـم بقائي يومين لا غـير في بغداد بقيت أشهـرا أتحدث إلى محيطي عـن اكتشافاتي فيها. وبلا مبالغة، كنـت أروي القصص كما كان يروي كولومبس اكتشافه لأميركا.

أنـا «كولومبـس النجفي" يـروي مغامراتـه في بغـداد. رسمت لهم صورة عـن الأسواق الكبيرة، ومـا تحويه المحـلات، وكيـف أن البنـات يمشين سافـرات في الشـوارع وكأنهـن حوريـات. يـا سبحـان اللـه! أكـثر مـن 60 سنة مـرت على هذه الأحـداث لكـن بعضها مـا زال عالقـا في ذهني.ما زلت أذكر أول مرة نزلـت فيها إلى السوق، وكيف بهرتني الأشياء المعروضة في الواجهات. بعضها لم أكن أعرف ما هو.

وقفت أمـام محل يعرض الحلوى وأشياء أخرى. أقسـم بالله، أن الذي استوقفنـي لم يكن البضائع المعروضة، وإنمـا كان وجها جميلا لفتاة في عمر الـورود، تتحدث مع صاحـب الحانوت، ربما كان يغازلها، لا أدري!.

كل ما أعرفه أنني وقفت في مكاني مبهورا بجمالها رغم العباءة التي كنت أرتديها والعمامة التي كنت أعتمرها. هذا «الشبح النجفي" لم يستطع مغادرة المكان. يـا سبحـان الخالـق. إلى الآن صورتها ما زالـت مطبوعة في ذاكرتـي. وكذلك نظرة صاحب الحانـوت الـذي بدا وكأنـه يقول لي: «مـاذا تريد أيهـا المتطفـل؟ اذهب بعيدا ودعنـا وشأننا». ومع ذلك بقيت مكاني.

أنا المتطفل المعدم، تسمرت قدماي داخل الحانوت. حاولت شراء أي شيء مقابل بقائي، فما استطعت أن أدفع أكثر مـن ثمن صورتين صغيرتين لبعض الممثلات اللواتي كانت صورهن معروضة.

مفارقة طريفة

شيـخ ذو لحيـة وعبـاءة وعمامة يشـتري صورا لممثـلات كن مشهورات في ذلك الزمن! والأكثر من ذلـك، أنني حملت هذه الصور إلى النجف وكأنني اشتريـت هدية كبيرة. كما أنني لم أنس أن أحدث أهـل عشيرتي عن العربات التي تسير في شوارع بغداد، وكيف أنني دخلت دور الصحف واستقبلت استقبالا كبيرا. وكانت ليالي طويلة قضيتها وأنا لا أملّ الحديث عن بغداد. كما أعطتني تلك الرحلة شحنة من الاندفاع، وكبر غروري بنفسي.

وعلـى سـيرة السيـارات، لا أنسـى أول سيـارة رأيتهـا في النجـف. كان ذلـك أثنـاء دراستـي في «المدرسـة العثمانية" ربمـا كنـت في العاشرة من عمري آنذاك، فقد خرجنـا من الصفوف لاستقبال جاويد باشـا وزير الماليـة في الدولـة العثمانية. وطبعـا لا يمكـن أن تـزور العـراق أي شخصيـة مهمـة ما لم تحضـر إلى النجـف، وتقـوم بزيارة مرقد الإمام علي – رضي الله عنه – يومها حضر جاويد باشا في سيارة ضخمة ظلت حديث الناس لفترة طويلـة. سيارة تمشي وحدها؟ كانت تعتبر ظاهـرة فلكية لا تصدق. وكأنهـا المركبة الفضائية الأولى.

كيـف كنت أنظـم قصائـدي؟ في أول عهـدي كنت أنظـم، أحيانـا، في المقهـى الأرستقراطي الهادئ. يومئـذ، كان باستطاعتـي أن أدون بعض الأبيات كي لا تهرب مني القصيدة.

ذلـك المقهـى كان صاحبـه ذا مزاج خاص، إذ كان يحـب الشعـر والأدب. ولم يكن المقهـى باب رزقه بـل إقامة من أجل مزاجه. وقد زينه بأحلى وأفخر أنـواع السجـاد العجمـي. إذ كان صاحـب المقهى تاجر سجاد ميسور الحال.

وكيـف كنت أنظـم خارج المنـزل؟ فقد كنـت أكتب أول كلمـة في كل بيت وقافيته. حتـى عندما ألقي قصائدي في الأماكن العامة لا أستعين بها مكتوبة بل أدون بعض كلماتها على ورقة صغيرة أو علبة السجائـر أو أي شيء آخر. المهـم، أنني منذ أكثر مـن أربعين عاما لم أعـد أستطيع النظم سوى في المنزل.. ووحدي.

فأنـا أقفل الباب على نفسـي وأبدأ بالنظم بصوت عـال، فأثبـت البيـت الأول علـى الـورق، وبعدها يصبـح ذهني كالمسجل: مـا إن أبدأ بالكتابة حتى تكر الكلمات وكأنهـا مسجلة في ذاكرتي. ونظمي القصائد تجربة تتم بالصدى والصوت والنغم.

بين الرصافي والجواهري

د. سعيد عدنان

حين سُئل الجواهري، يوماً، عن نشأته الأولى، وعمّن أعجب به من أهل زمانه ؛ قال: شوقي لصياغته، وحلاوة ألفاظه، وانسجام أنغامه ؛ والرُّصافيّ لتمرّده، وجهارته، وتقحّمه الغمرات . وكان يريد أن يكون، وهو في أوّل أمره، مثلهما، وأحسنِ منهما، وكان ينظر إليهما، في كل أحواله، نظرة تجلة وإكبار. لقد كان الرّصافي، عند مطالع القرن العشرين، كبيراً في الشعر ؛ يزاول أغراضه القديمة، ويضيف إليها ما استجدّ من شؤون الفكر، ونوازل السياسة ؛ وكلّ ناشئ يرنو إليه، ويُؤخذ به، ويريد أن يقتفي أثره . ولعلّ أطيافاً من شعره، وتمرّده سرت إلى طائفة من ناشئة الشعر يومئذ، فتردد صوته، بنحو ما، في قصائدهم. بل إنّ قصيدته:

يا قوم لا تتكلّموا... إنّ الكلام محرّمُ
ناموا ولا تستيقظوا... ما فاز إلّا النوّمُ

وجدتْ منفذها إلى شعر الجواهريّ ؛ بروحها المتهكّمة الناقدة، وبنمط صياغتها ؛ وإنّ قارئ قصيدة الجواهريّ " تنويمة الجياع «: نامي جياع الشعب نامي... حرستك ألهةُ الطعامِ

لا يخطئ أطيافاً من تلك في هذه. بل إنّ ما قال الجواهريّ في حوادث الحكّام والمحكومين، وفي التقريع، والاستنهاض ؛ لينبض فيه عرق من شعر الرُّصافيّ ؛ على أنّ الجواهريّ صاحبُ مِيسم في كلّ شعره ؛ تلتقي عنده الروافد فتصطبغ بصبغته، وتأخذ لونه.

أحبَّ الجواهريّ الرُّصافيَّ، ورأى فيه أستاذاً من أساتيذ الشعر الذين تُؤخذ عنهم الصنعة، وينزلون المنزلة الرفيعة، ولم تحدّثه نفسه في ساعة من عمره أن ينتقص منه ليزيد في مجده. وكان الرُّصافي يرى في الجواهريّ حاملَ لواء الشعر من بعده ؛ يُحبّه، وينزله منزلته، ولم تحدّثه نفسه أن يتغافل عنه، أو ينتقص منه. لقد كان ما بينهما قائماً على المحبّة، وحسن التقدير، والإعجاب. حتّى إذا تقلّص ظلّ الرُّصافيّ، وانزوى في داره منقطعاً عن الناس ؛ بقي ما بينه وبين الجواهريّ ثابتاً ؛ يرعى كلٌ منهما حقّ صاحبه ويشيد بذكره، وينصره على الأواء. وكان من ذلك ؛ أنّ الجواهريّ حين نشر، في مطلع سنة 1941، قصيدة يبثّ فيها ألمه وشكاته من حوادث ألمّتْ به يومئذٍ ؛ مطلعها:

أعيذُ القوافي زاهياتِ المطالعِ
مزامير عزّافٍ أغاريدَ ساجعِ

وجد في الرُّصافي خير مَن يسمع، ويُعين ؛ إذ هزّته القصيدة وأخرجته من صمته، ووصلت ما انقطع من شعره ؛ فأنشأ يخاطب الجواهريّ بقصيدة مطلعها:

أقول لربّ الشعر "مهدي الجواهري»
إلى كم تُناغي بالقوافي السواحرِ
فترسلها غُرّاً هواتفَ بالعلا
يُميل إليها سمعَه كلُّ شاعرِ
وتشدو بها والقومُ صمٌّ عن العلا
فلم تلقَ إلّا غيرَ واعٍ وذاكرِ

ويمضي بها مصوِّراً ؛ أن ما تشكّى منه الجواهريّ أمر قديم قد امتدّت إليه أذاته من قبلُ، وشقي به، وكأنّه داء لا دواء له. وشرع يهوّن على الجواهريّ ما به ؛ حتّى أتمّ القصيدة، وبعث بها إليه مع رسالة ؛ جاء فيها: (وبعد فقد جاءني العدد الذي تفضّلتم بإرساله من جريدتكم الغرّاء فقرأت فيه قصيدتكم الفريدة فحرّكت فيّ سواكن الأشجان ودعتني إلى قول شيء من الشعر الذي انقطعت عنه منذ زمان...) فتلقّى الجواهريّ الرسالة والقصيدة محتفياً بهما،مسروراً بما أنشأ الرُّصافي، ونشر القصيدة والرسالة في جريدته، وكتب كلمة يقول فيها: (ويضيق المجال، بقدر ما يصعب على اليراع، عن الإشادة بوقع هذه القصيدة الرُّصافيّة وأثرها في النفس، وبمقدار ما تثيره فينا من مظاهر الاعتزاز والافتخار بتلك النفثة الجيّاشة التي هزّت شاعراً فحلاً عظيماً كالأستاذ الرُّصافي وهو في صومعته الخالدة في الفلّوجة. الرُّصافي الذي ألقى من نفسه الوهّاجة ومن شاعريته الفذّة ومن نبوغه وعبقريّته شعلة وقبساً أنارت لمواكب الشباب العربيّ طريقها إلى المجد والطموح... وهو الرُّصافيّ نفسه الذي يعيش اليوم منطوياً على نفسه في الفلّوجة يعاني ثقل الشيخوخة، ووطأة المرض، وقسوة الدهر والناس...) ولا بدّ للمرء، وهو يقرأ ذلك، من أن يُكبر الشاعرين، ويُعظم شأنهما ؛ فلقد كانا على سموّ نفس، وأريحيّة رفيعة ؛ يعرفُ كلٌّ منهما فضلَ صاحبه، ويُعلنه مزهوّاً به كأنّه فضله !

ويطّرد ما بينهما من المودّة والتجلّة، وكأنّه شيء فوق الحوادث، لا تنال منه غِيرُ الزمان ! ويظلّ الجواهريّ يذكر الرُّصافيّ ويثني عليه ؛ حتّى إذا استحكمتْ عزلته، واصطلحت الأمراض عليه، وثقلتْ عليه الحياة قال قصيدة يحييه بها، وقدّم لها بكلمة من أنفس الكلم وأشرفه ؛ يقول: (في عزلة – لولا عرائس عبقر التي تحوم حولها – لقلنا إنّها موحشة يقضي صاحب " العالم شعر" و " الدستور" و" السجن في بغداد "... ما تبقّى من عمره، وهو يدلف إلى الثمانين موقّرة بأثقال الاحساسات المرهفة، ولواعج الخواطر المتراكمة، وذكريات الأدوار العنيفة ؛ في عزلة كهذه يقضي أيّامه المتبقية الشاعر الذي غنّى الأقطار العربيّة في أعراسها وناح عليها في مآتمها... والذي صدح بحريّة الرأي وقدسيّة العقيدة... فهل أقل من أن " نؤنسه " في وحشته هذه بأن نذكره فحسب ؛ ولكن قبل أن يموت؟...) ثمّ تأتي القصيدة محيّية:

تمرّستَ " بالأولى " فكنتَ المغامرا
وفكّرتَ " بالأخرى " فكنتَ المجاهرا
وفضّلتَ عيشاً بين تلك وهذه
... به كنتَ، بل لولاه، ما كنتَ شاعرا

ثمّ يقول:

وإنّي إذ أُهدي إليك تحيّتي
أهزّ بك الجيلَ العقوقَ المعاصرا
أهزّ بك الجيل الذي لا تهزّه
نوابغُه، حتّى تزورَ المقابرا

وهي قصيدةُ موقف نبيل بقدر ماهي قصيدةُ محبّة ؛ تلقّاها الرُّصافي مسروراً بها ؛ فنشط للشعر مرّة أخرى، وطفق ينظم ليردّ التحيّة بأحسن منها، وليصوّر ما يكتنفه من أحوال:

بك الشعر، لا بي، أصبح اليوم زاهرا
وقد كنت قبل اليوم مثلك شاعرا
فأنت الذي ألقت مقاليد أمرها
إليه القوافي شرّدا ونوافرا

كان ذلك في سنة 1944، قبل وفاة الرُّصافي بسنة أو دونها، ثمّ توفي الرُّصافي في السنة التي بعدها ؛ ولم أجد للجواهريّ قصيدة فيه حتّى سنة 1951 ؛ حين قال مرثاته فيه:

لاقيتَ ربّك بالضميرِ
وأنرتَ داجية القبورِ
وأشعتَ في الأبد البهيم طلاقةَ الأبد المنيرِ
وذهبتَ لم تعلق يداك بغير مكرمة وخيرِ

ومدارها على يقظة الشاعر، وجرأة فكره، وجهارة قوله، وضيعته في وطنه. لقد كان بين الشاعرين من تشابه النوازع، وتقارب الأفكار ما جعل المودّة تستقيم بينهما مدّة حياتهما ؛ حتّى إذا توفي الرُّصافي ظلّ الجواهريّ يتذكره كلّما دعت دواعي التذكّر، ويُثني عليه ويعدّه عنوان الشاعر ذي الفكر اليقظ.

ويعاود رثاءه في سنة 1959 إذ يحتفل اتحاد الأدباء به، ويقول قصيدة يجعل منه فيها رمز الفكر، ويبتعث من خلاله أشجان الحياة والموت ؛ يقول:

لغزُ الحياة وحيرةُ الألباب
أن يستحيل الفكرُ محضَ ترابِ
أن يصبحَ القلبُ الذكيّ مفازةً
جرداءَ حتّى من خفوق سرابِ
فيم التحايلُ بالخلود وملهمٌ
لحفيرةٍ ومفكّرٌ لتبابِ

وهو، من بعد، لا يطوي الحديث عنه، ولا يريد أن ينساه ؛ وذلك أمر قلّما يقع بين الشعراء...!

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة

للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني
من خلال قراءة QR Code:

www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

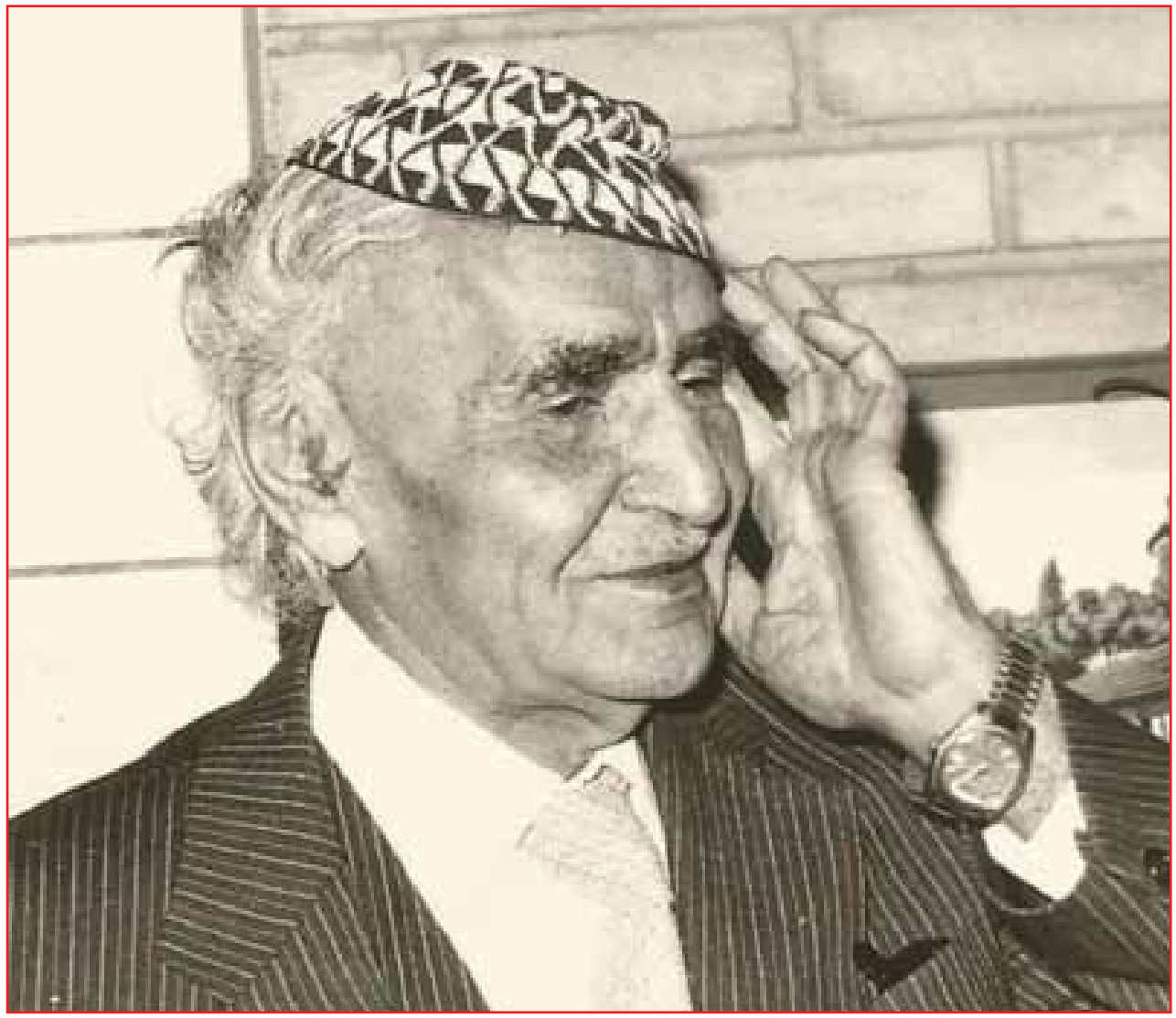

هكذا جمعنا قصاصات قصيدة الجواهري في الطبيب الوتري

كريم مروة

كانت الأشهر الستة الأولى من عام 1949 في بغداد قبل ان أغادرها عائداً إلى لبنان في شهر تموز تعيش تحت تأثيرات نكبة فلسطين والنكسة التي منيت بها "الوثبة". وتابعت في الآن ذاته علاقاتي مع المثقفين الذين كانت قد تكونت لي علاقات صداقة معهم، وكان من ضمنهم الشعراء بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وبلند الحيدري وأكرم الوتري والفنانون التشكيليون خالد الرحال ونزار سليم ونوري الراوي والأدباء عبد القادر البراك وعبد الملك نوري وذو النون أيوب وابراهيم اليتيم وناجي جواد الساعاتي. وتابعت علاقاتي مع عائلة الأديب اللبناني العراقي محمد شرارة الذي كان قد تم اعتقاله، ومع اللبناني العراقي محمد حسن الصوري مؤسس مجلة "الحضارة"، ومع بعض الإعلاميين ممن كانوا يشرفون على جريدة "الأهالي" لسان حال الحزب الوطني الديمقراطي الذي كان يرأسه كامل الجادرجي، وجريدة "الأخبار" لصاحبها عبد الهادي الجلبي التي كنت أنشر فيها بعض مقالاتي الأدبية. لكن علاقتي بالجواهري كانت لها منذ البداية نكهتها الخاصة. وكان يتعامل معي أنا ابن التاسعة عشرة عاماً في ذلك التاريخ كما لو كنت واحداً من جيله. وهو ما جعلني شديد الاعتزاز بتلك العلاقة.

وأذكر أنني لبيت دعوة لحضور حفل تكريم عميد كلية الطب الدكتور هاشم الوتري في نادي "المسبح" في كرادة مريم جنوب شرق بغداد الذي أقيم في مطالع شهر تموز. ذهبت برفقة الجواهري مع صديقي عزيز أبو التمن ابن جعفر أبو التمن أحد زعماء ثورة العشرين في سيارته البويك التي كان يقودها، وكان رابعنا الأديب العصامي اجي جواد الساعاتي. أخذنا مقاعدنا نحن الأربعة في المكان المخصص لنا في النادي. وكان الجواهري أحد الذين كانوا مدعوين للتكلم في حفل التكريم. وكان النادي يغص بعلية القوم من كبار المسؤولين وفي مقدمتهم الوصي على عرش العراق الأمير عبد الإله ورئيس الحكومة آنذاك أرشد العمري، كما أذكر، ونوري السعيد والعديد من الوزراء. وعندما جاء دور الجواهري للكلام ذهب شامخ الرأس وألقى قصيدة رنانة مدح فيها المكرّم وتهجم على أركان الحكم بكلام حاد وصريح لا يقبل التأويل. وعاد إلى حيث كان في مقعده معنا نحن الأربعة. وفور وصوله إلينا متوتراً سارع إلى تمزيق الأوراق التي تحوي القصيدة وألقاها تحت الطاولة. وبعد لحظات انحنيت والملمت القصاصات ووضعتها في جيبي من دون أن ألفت الأنظار. وعدنا بعد انتهاء الاحتفال كما جئنا إليه وأوصلنا الجواهري إلى منزله، وجلسنا نحن الثلاثة في منزل عزيز أبو التمن الكائن في شارع أبي نواس نتداول في ما يمكن أن تؤول إليه الأمور بالنسبة للجواهري بعد قصيدته، ثم خرجنا كلٌ منا إلى منزله. وكنت أقيم مع عائلة حسين مروة في مدينة الكاظمية الواقعة في ضاحية بغداد الجنوبية على ضفاف نهر دجلة.

علمنا في الصباح أن الجواهري اقتيد في تلك الليلة بالذات إلى أحد المراكز الأمنية معتقلاً. فرتّب عزيز أبو الثمن على الفور، بحكم العلاقات التي كانت تربطه بالعديد من المسؤولين، زيارة للجواهري بأمر من مدير التحقيقات الجنائية بهجت عطية. فزرناه نحن الثلاثة عزيز وناجي جواد وأنا في مكان اعتقاله. وكان ذلك المكان غرفة بكاملها مخصصة له بكل ما يحتاجه من أمور حياته اليومية. لكن الجواهري لم يبق في الاعتقال إلا أياماً معدودات لأنه لم يعترف بما اتهم به. ولم تكن القصيدة بين يديه، ولم تحصل المخابرات على نصها. وقمنا نحن الثلاثة بزيارة أحد المعتقلات التي كان يقيم فيها الأديب محمد شرارة وعدد من المثقفين والمناضلين الشيوعيين. وغادرت بعد الزيارتين بغداد إلى لبنان. وفور وصولي مع العائلة جلست مع حسين مروة وابنه نزار نرمم قصاصات الورقة التي كتبت فيها القصيدة. وعندما أكملنا مهمة تركيبها وترتيبها ذهبت إلى جريدة «التلغراف» وقدمت لرئيس تحريرها نسيب المتني القصيدة للنشر. وأفقنا صباح اليوم التالي على القصيدة منشورة على صدر الصفحة الأولى بنصها الكامل. وعلمنا بعد يومين من نشر القصيدة أن الجواهري أعيد إلى الإعتقال بالجرم الذي هو القصيدة. وهكذا كنت بالنسبة إليه المسؤول عن إعادة اعتقاله. وهو ما اعترفت له به عندما التقينا في آخر العام ذاته لدى عودته من رحلة قادته إلى فرنسا التي أغرم بها وبإحدى حسناواتها ونظم بالإثنتين قصيدتين من أجمل قصائده.

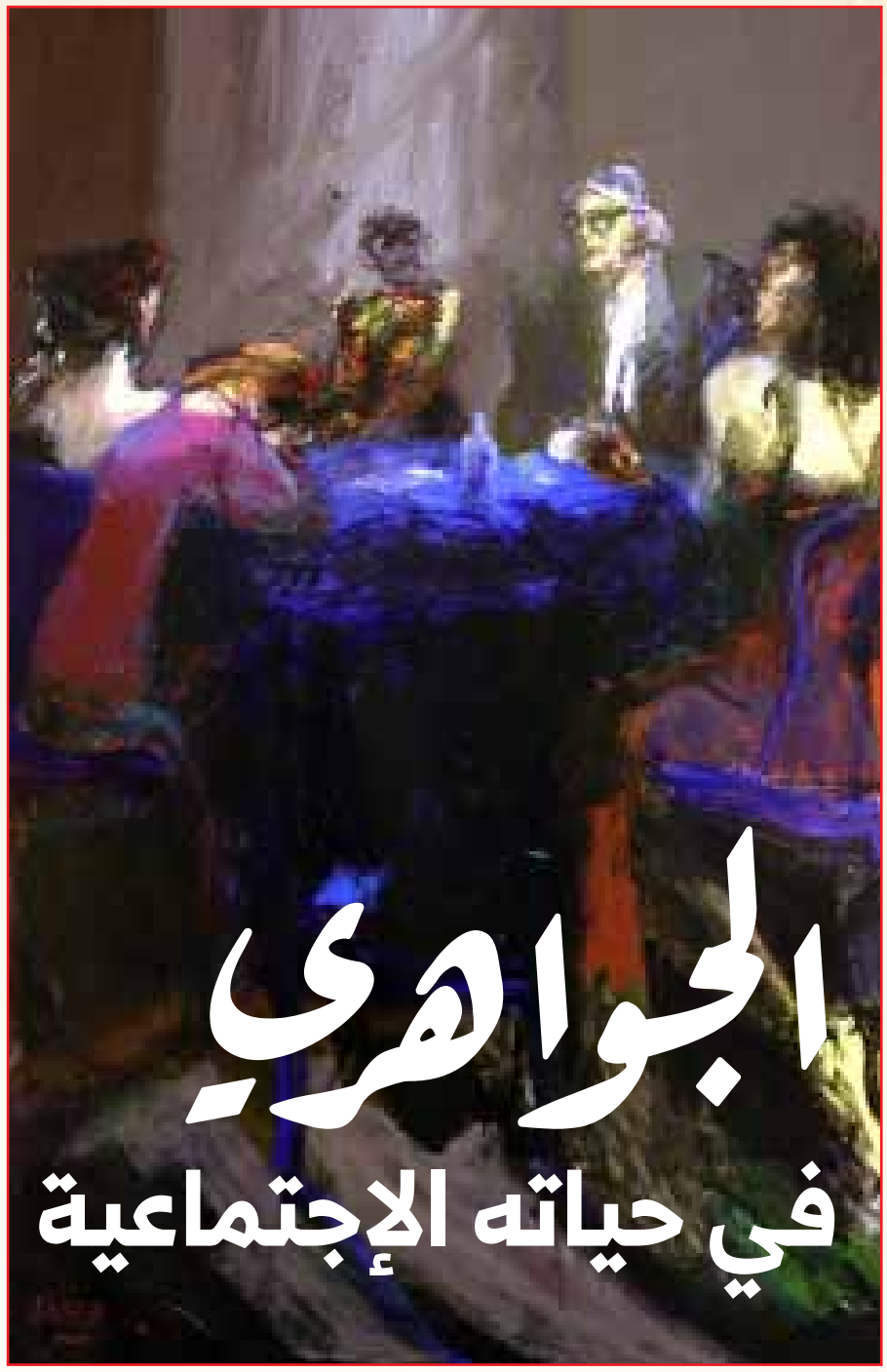

الجواهري في حياته الإجتماعية

إعداد: عراقيون

قيل - اذا سافرت احمل وطنك معك.. والشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري. الذي سافر وتغرب عن الوطن كان يحمل وطنه معه لأن الابتعاد عن حدود الوطن لايلغي الوطن من داخل حدود القلب!! وهو الذي قال في قصيدة لم تنشر سنة 1967..

سهرت وطال شوقي للعراق
وهل يدنو بعيد باشتياق؟

ومنذ سنة 1961 اتخذ شاعرنا العاصمة التشكيلية "براغ" مقاما له وقد احبها كثيرا لجمالها وهدوئها وقد ذكها في بعض قصائده. ولكن هذا الشيخ الجليل ورغم تخطيه سن التسعين يبقى حنينه ابدا، لأول منزل!! خاصة ان في هذا المنزل ذكريات طفولة وموطن ابائه ودوحة شعره ومنهل علمه ومسرح شهرته وعبقريته ونبوغه كشاعر لعله الثاني بعد المتنبي!! وبلده العراق هو تاريخ كفاحه في فقره او غناء ومساجلاته في البلاط الملكي مع الملك فيصل الاول وفي شعره الرقيق في غزل النساء ويجمع في حياته المثيرة الغريبة هذا التناقض الغريب في شخصيته وهو الذي قال يوما لو كان عندي جيل من الذهب لانفقته على الجمال.

×××

لقد فجع الجواهري بوفاة زوجته الاولى سنة 1939 وهي ام فرات والدتي والتي لا تتجاوز من العمر السابعة والعشرين سنة بعد ان خلفت له فرات والدكتور فلاح وابنته البكر اميرة. وقد اثر الجواهري ان لا تتولى شؤون العناية بالاولاد الصغار امرأة غريبة عن العائلة. فتزوج من شقيقة زوجته الاولى "مناهل" اختها (امونة) في سنة 1939 وكنا نحن اطفالا. اختي عمرها (11) سنة وانا عمري 9 سنوات وفلاح عمره 4 سنوات.. فتزوج امونة خالتي.. اي بمعنى ان الفقيدة لم تكون غريبة علينا.. قبل ان يتزوجها هي خالتنا.. وانت تعرف المثل العراقي الذي يقول "اشفق من امي خالتي».

× كيف كانت رفقة الفقيدة "امونة" مع والدك الشعر الكبير الجواهري؟

- كانت الفقيدة (امونة) ام نجاح.. صبورة جدا مع الجواهري فلقد رافقته 53 سنة مع شتى المعاناة التي تحملتها مع الشاعر المزاجي الكبير فكم من مرة طلب ان تبيع الغراض وتبيع البيت. لكي يهاجر ومن ثم يعود ليعدل عن قراره وكانت فقيدتنا مطيعة له ترافقه اينما يحل واينما يرحل.. وتحترم مزاجه الخاص الذي يتناسب مع حجم عبقريته!!

× ما حكاية وفاة والدتك السيدة مناهل؟

تزوج الجواهري من والدتي (ام فرات) اولا السيدة (مناهل رحمها الله وتوفيق بطريقة مفاجئة للجواهري عندما كان في لبنان ووصل نبأ وفاتها وكتب عنها اجمل مرثياته بل تكاد تكون المرتبة الاجور في شعر الجواهري سنة 1939 ويقول فيها -

في ذمة الله ما القى وما اجد
اهذه صخرة ام هذه كبد
حييت ام فرات ان والدة
بمثل ما انجبت تكنى بماتلد
بكيت حتى بكى من ليس يعرفني
ونحت حتى حكاني طائر غرد
قالوا اتى البرق عجلان فقلت لهم
والله لو كان خيرا ابطأت بردُ.

وقد وصف فيها كيف ورد اليه النبأ المفجع وكان انذاك في بيروت متوجها الى القاهرة.. وكان البيت الاخير اجملها الذي يصف به توجسه وتخوفه من اخبار قدوم البرقيات!!

× ماذا عن الزوجة الثانية في حياة الجواهري؟

كانت (خالتي) كما سبق وان شرحت لك ذلك تزوجها الجواهري بعد وفاة والدتي ام فرات.. وقد انجبت له نجاح وكفاح وبنتين هما خيال وظلال.. وكان الجواهري يحبها كثيرا فكتب فيها اجمل قصائده وقال فيها.. يهديها - "الى التي افنت شبابها وكهولتها معي صامدة واثقة، مؤمنة في حياة تشبه الاساطير.. الى زوجتي امونة».

يا حلوة المجتلى والنفس غائمة
والامر مختلط والجو مختنق
ويا ضحوكة ثغر والدتي عبس
ويا صفية طبع والمنى رنق
ويا صبورة على البلوى تلطفها
حتى تعود كبنت الحان تصطلق

اذن.. كان الجواهري يحبها كثيرا كشقيقتها (ام فرات) لان (ان نجاح) داوت الكثير من اشجان الجواهري وكان لها في حياته الكثير.. وكانت تطاوعه حتى في ما يخالف العقل من الحكمة.. من ثورات (جواهرية) وعلى مدى (53) سنة استمرت هذه الحياة حتى توفيت في الشهر الماضي من هذه السنة..

× ماذا عن رحيل امونة "ام نجاح».

يقول الاستاذ فرات:

توفيت المرحومة ام نجاح في احد مستشفيات بلندن وقد شيعت الى مثواها الاخير بموكب مهيب.. واقيمت الفاتحة على روحها الطاهرة في مسجد (براثا) في بغداد العطيفية لمدة ثلاثة ايام وقد حضرها عدد كبير من الناس ومن محبي الجواهري ومن الادباء والكتاب.. وقد وجهت دعوة الى شاعرنا الجواهري لحضور الفاتحة.. ولكن الرجل اعتذر وشكر الذين اتصلوا به فردا فردا وقال بالحرف الواحد ان محبي المرحومة هم الاوفر عددا في بلدها والاعلى مقاما!!

هذا الكلام عبر الهاتف.. وبه ازيلت جفوة كبيرة وازيحت غمامة عما قيل ويقال عن الجواهري شاعر العراق وشاعر العربية!!

× وزوجاته الاخريات؟

لقد تزوج الجواهري بالسيدة السورية اللبنانية لفترة قصيرة ولظروف جغرافية خاصة هي "رزمية البيضوني" عام 1945 ولم يستمر معها سوى سنتين.. واثناء وجود الجواهري في ضيعته الزراعية في منطقة علي الغربي عام 1957 تزوج ايضا من السيدة نعيمة من عشائر "البو دراج" وكان عمرها صغيرا ولم ينجب منها شيئا ثم انفصل عنها.. وطلقها ومازال اهلها يذكرون هذا ويقولون نحن "نسبان" الجواهري.. وبحق.. اقول لك.. تبقى الزوجتان الاعمق اثرا في نفس الجواهري هما الشقيقتان (مناهل) ام فرات.. و(امونة) ام نجاح رحمهما الله حيث يسجل التاريخ الشعري للجواهري واحدة من اجود مرثياته للمرحومة مناهل واجمل قصائد الحب للسيدة المرحومة امونة.. ولقد سبق ذكرهما!!.

هذا الحوار مع نجله الراحل فرات الجواهري

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون